**الأنشطة الاقتصادية في المملكة قبل عصر النفط**

تعتبر معظم مناطق المملكة العربية السعودية في مرحلة ما قبل النفط عبارة عن مناطق صحراوية، قليلة السكان، شحيحة الموارد، خالية من العمران. وقبل تدفق النفط بكميات تجارية كان اقتصاد المملكة يعتمد أساساً على رسوم الجمارك والحج، وما يحمله الحجاج من عملات صعبة. أما السكان، فكان كثير منهم يتجه شرقاً إما للغوص في مياه الخليج العربي بحثاً عن اللؤلؤ أو للسفر إلى البحرين والهند والعراق طلباً للتجارة أو بحثاً عن العمل. وكان من أهم الأنشطة الاقتصادية السائدة في المنطقة قبل اكتشاف النفط الزراعة، والتجارة، والرعي، وصيد الأسماك، والأعمال الحرفية كالحدادة وصناعة الفخار والنسيج والحلي.

**الزراعة:**

تكثر الزراعة في المناطق التي قامت عليها المملكة العربية السعودية لاحقاً، خاصةً في القطيف والأحساء ووادي الدواسر والأفلاج والخرج والوشم وسدير والقصيم وحائل، ولذا فإن نسبة السكان العاملين في الزراعة ترتفع في هذه المناطق.

وفي تلك المناطق المشار إليها تزرع الحبوب والخضروات والفواكه. ومن أهم أنواع الحبوب التي تنتشر زراعتها: الحنطة والشعير والدخن والذرة والسمسم والأرز. أما الخضروات فأهمها: القرع والخيار. وأما الفواكه فتكثر نسبياً في المناطق المرتفعة، ومن أهمها: البرتقال والليمون والتين والعنب والبطيخ والشمام. ولعل أهم مزروعات البلاد على الإطلاق أشجار النخيل، حيث أن معظم مناطق الجزيرة العربية تعتبر بيئة مناسبة لأشجار النخيل التي تتطلب زراعتها جواً حاراً ومياهاً وافرة، وهذا متوفر في معظم الواحات الزراعية في الجزيرة العربية. كما أن النخيل يعد أهم مزروعات المنطقة نظراً للقيمة الغذائية العالية للتمور، ولسهولة تخزينها لمدة طويلة، فهي من أهم الأطعمة المتوفرة لسكان الجزيرة العربية في مرحلة ما قبل النفط.

أما عن طريقة الزراعة، فقد كانت طريقة بدائية، حيث كانوا يستعملون المحراث الخشبي الذي تجره الإبل (غالباً في نجد) أو البقر (غالباً في الجنوب) أو الحمير (غالباً في الأحساء).

وتختلف طرق الري في مناطق الجزيرة العربية وفقاُ للتضاريس ونسب هطول الأمطار، ففي نجد تعتمد الزراعة غالباً على الآبار، وتعتمد في الأحساء على العيون، وفي عسير تعتمد الزراعة على الأمطار، أما في تهامة فإن الزراعة تتوقف على غالباً على المياه المنحدرة من الوديان؛ ولذا تقام السدود في مجرى تلك الوديان لحجز المياه وتوجيهها نحو الأراضي المراد زراعتها. وتتميز الزراعة في تهامة لكونها تحصد مرتين: في الربيع والصيف.

**التجارة:**

التجارة عموماً في المناطق التي قامت عليها المملكة العربية السعودية كانت تجارة تقليدية رتيبة لا تكاد تزدهر إلا في مراحل زمنية محدودة وفق ظروف ضيقة تفتقد إلى الاستمرارية. كما تقسم التجارة في مرحلة ما قبل النفط إلى ثلاثة أقسام رئيسة: التجارة المحلية، والتجارة الإقليمية، والتجارة الخارجية. أما التجارة المحلية فيقصد بها التجارة الداخلية اليومية لمدينة أو قرية معينة. ويشمل ذلك جميع العلميات التجارية التي تمارس يومياً في سوق الماشية وسوق الأقمشة وسوق الخضار والفاكهة .. الخ. أما التجارة الإقليمية فيقصد بها التجارة المتبادلة بين المناطق المتجاورة كأن تصدر الأحساء -على سبيل المثال- إلى الرياض بضائع الأقمشة والملبوسات التي تستوردها من الهند وأوروبا، أو أن تصدر القصيم التمر والسمن إلى الحجاز.. الخ. ويعتبر التبادل التجاري بين البادية والحاضرة نوعاً من أنواع التجارة الإقليمية، وسنفصل أكثر في الحديث عن هذا النوع أثناء الحديث عن الرعي والثروة الحيوانية. أما التجارة الخارجية فالمقصود بها عمليات التصدير والاستيراد بين إحدى مناطق المملكة ومناطق أو دول خارج الجزيرة العربية. فعلى سبيل المثال، تصدر الأحساء التمور والأسماك المجففة سنوياً إلى الهند وتستورد منها العديد من البضائع سواءً الغذائية كالأرز أو المنسوجات كالملابس والأقمشة. كما تعتمد التجارة في الحجاز اعتماداً شبه كلياً على الحجاج، فمعظم السلع المعروضة في الحجاز تستورد من الخارج. كما يصدر الحجاز بعض حاصلات التمر والجلود إلى الخارج، ولكن صادراته قليلة جداً مقارنة بوارداته. ولعل تجارة العقيلات تعتبر من أهم الأمثلة على التجارة الخارجية، حيث تنطلق قوافل العقيلات من القصيم مصدرةً الإبل -بالدرجة الأولى- والغنم والخيل -بنسبة أقل- إلى العراق والشام ومصر، ثم تعود تلك القوافل محملة بكل ما يحتاجه أهل نجد من تلك المناطق.

**الرعي والثروة الحيوانية:**

لإن كانت الزراعة والتجارة غالباً من أعمال الحاضرة، فإن الرعي غالباً من أعمال البادية. فالبدو اعتمدوا معيشياً على الرعي وتنمية الثروة الحيوانية؛ خاصةً الإبل والغنم، حيث يشربون من حليبها ولبنها ويستخرجون منهما بعض المنتجات كالسمن والزبد، ويأكلون منها، ويبيعونها ويبيعون أصوافها وجلودها. وكما أن البدو يتبعون المرعى في الشتاء والخريف، إلا أنهم ينزلون قريباً من المدن في الصيف هروباً من حر الصحراء وقرباً من الآبار والمناطق الزراعية. كما أنهم يستغلون فصل الصيف في التبادل التجاري مع الحاضرة في المدن، فهم يشترون كل ما يحتاجون من أسواق المدن سواءً الغذاء كالأرز والقهوة وغيرهما أو الملابس والمنسوجات. وفي المقابل يبيع البدو ما زاد عن حاجتهم من الإبل والغنم، وما جمعوه من المنتجات الحيوانية؛ خاصةً السمن، وما لديهم من الجلود والصوف. وهذا التبادل التجاري بين الحاضرة والبادية يكون غالباً بالتبادل العيني لا النقدي، كأن يبيع البدوي على الحضري شاةً مقابل خمسين وزنة تمر. وما ألجأهم إلى هذه الطريقة سوى قلة النقود في أيديهم ولكونه ليس هناك عملة واحدة متوفرة وثابتة القيمة. وكما هو معلوم فإن النقود المستخدمة فيما قبل مرحلة النفط متعددة وكثيرة، فهناك الليرة العثمانية، والجنيه الإنجليزي، والروبية الهندية، والريال الفرانسي (النمساوي) .. الخ.

**المراجع:**

عبدالله ناصر السبيعي: اكتشاف النفط وأثره على الحياة الاقتصادية في المنطقة الشرقية، ص69-132.

عبدالفتاح أبو علية: تاريخ الدولة السعودية الثانية، ص319-320.

حافظ وهبة: جزيرة العرب في القرن العشرين، ص16، 37-38.